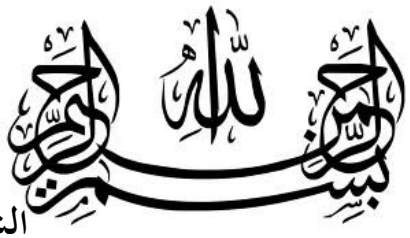

الأحد 5/1/2014 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

أبواب الفرج

فعل الخير

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

هذا درس جديد في سلسلة دروس **أبواب الفرج**، ونحن نسأل اللهَ تعالى ببركة عملنا بها أن يُعجِّل لنا بالفرج وأن يجعله محفوفاً بألطافه الخفية.

إذا نزلت بالعبد نازلة، أو حلَّت به شدة، أو أحاطت به مصيبة وبلية فينبغي عليه أن يقرع باب سيده رب العالمين –جل جلاله– وقد جعل الله لنا أبواباً للفرج يُطلب من كل واحد منا فرداً كان أو أسرة أو مجتمعاً أن يقرع هذه الأبواب كلها فإن لم يستطع فبأكثرها، فإن لم يستطع فببعضها وعلى أقل تقدير أن يقرع باباً من هذه الأبواب.

إذا أراد الله شيئاً هيأ أسبابه، فمن أدب العبد مع ربه أن يطرق ويلزم أبواب الفرج، ثم يعمل وفقاً لما أراد الله، ثم ربك يخلق ما يشاء ويختار لعباده كيف شاء وبما شاء وأين شاء.

بابنا في هذا اليوم تحت عنوان **فعل الخير**.

فعل الخير أحد أبواب الفرج قال تعالى: ﴿أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: 77].

لَعَلَّكُمْ: (لعل) لغةً: تفيد الترجي، لكن إذا جاءت في القرآن فهي للتحقيق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]، فتحقيقاً: كتابة الصيام توصلنا للالتزام بالتقوى وكوننا من أهلها.

تُفْلِحُونَ: تنجحون وتفوزون ولا تبقون في كرب.

❖ قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 148].

يختلف الناس في الأزمات والشدائد فتجد لكل منهم وِجْهةٌ ودرب وطريق والله يعلمنا بقوله: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ لنتسابق إلى الخير ونبذله وهو باب من أبواب الفرج.

كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةً فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ**» [الإمام أحمد والترمذي].

❖ سورة الأنبياء سورة ضَمَّتْ قصص خمسة عشر نبي من الأنبياء الذين سماهم الله تعالى في القرآن الكريم، فتكلمت السورة عن جهادهم والأزمات التي مروا بها وفي خاتمة الحديث عنهم -وهم قدوة للبشر- قال تعالى واصفاً إياهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: 90].

- يُسَارِعُونَ: ولم يقل يسرعون.
  - في اللغة قاعدة تقول: زيادة في المبنى دليل على زيادة في المعنى.

فإذا قلت: (سمع الرجل الدرس) أي سمعه، أما إذا قلت: (استمع الرجل إلى الدرس) أي أنصت وأصغى وألقى سمعه إلقاء شديداً؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: 204]، أي اسمعه سماعاً فيه تركيز وإصغاء وإنصات

فالله وصف أنبيائه وهم في زمن الشدة والضيق والكرب أنهم كانوا يسارعون في الخيرات.

- وقتنا هو أنسب وقت لفعل الخيرات، وفعل الخيرات سبب في جلاء هذه الأزمة، أما أن يجلس أحدهم ليقول: الناس لا يستحقون ذلك، فهو بقوله يزيد الأزمة والشدة والكرب.
- كلمة (يسارع) على وزن (يفاعل) وأفعال المفاعلة في اللغة العربية تحمل معنى المشاركة فإذا قلت: تصافح أو تقاتل الرجلان، فهذا إشارة إلى أن هناك اثنان يتصافحان أو يتقاتلان.

فكلمة سارع تحمل معنى المشاركة، فعليَّ وعليك أن نفعل الخير فأسبقك مرة وتسبقني مرة وأشد همتك وتشد من همتي.

○ تجدون في هذه الأزمة أقواماً يفعلون العجب من البذل والعطاء ومسابقتهم لفعل الخير على حين ترى أقواماً كسالى لا يبذلون ولا يعطون ولا يساعدون حتى تجد كلامه فيه التيئيس والقنوط من الفرج فتشعر بجلوسك معه أنه لا يعينك ولا يبذل لك شيئاً بل يقنطك.

قال السماء كئيبة! وتجهما قلت: ابتسم يكفي التجهم في السما

○ أمر الله بالإسراع في الخيرات ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [آل عمران: 133] ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة: 48] **وسبب ذلك:**

أ. **لأن الحياة قصيرة:** فمن عُمِّرَ حتى الخمسين أو الستين أو أقل أو أكثر فليس له وقت فبالكاد أن يلحق ليفعل الخير قبل أن يمضي من هذه الحياة الدنيا إلى الآخرة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تَنْظُرُونَ إِلَّا إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنًى مُطْغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ، أَوْ هَرَمٍ مُفَنِّدٍ، أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ، أَوِ الدَّجَّالِ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةِ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**» [الترمذي].

ب. **لأن الخير والنور والحق هو ما سيبقى في هذه الأرض:**

آذى المشركون كلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انزاح الباطل ليبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا كلما ذكر اسمه تبادر المحبون لقولهم: صلى الله عليه وسلم.

قال الباطل: أنا أعلى منك رأساً.

قال الحق: أنا أثبت منك قِدماً.

قال الباطل: أنا أقوى منك.

قال الحق: أنا أبقى منك.

قال الباطل: أنا معي الأقوياء والمترفون.

قال الحق: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: 123].

قال الباطل: أستطيع أن أقتلك الآن.

قال الحق: ولكن أولادي سيقتلونك ولو بعد حين.

فإذا لم تبادر إلى أن تكون مع الحق وأهله ولم تبادر لمساعدتهم فاعلم أن الحق منصور بك وبغيرك فالحق لحجز مكان قبل أن يأتي غيرك ليأخذه.

إذا ساق الله لك عملاً خيراً فأسرع به قبل أن يفوتك

ت. **لأن أهل الباطل يسرعون في باطلهم**: فإذا كنت جالساً فأهل السوء والفجور لا يجلسون وإنما يتحركون وبسرعة ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: 62].

فإذا كان أهل الإثم والحرام والعدوان يسارعون فليس من المعقول أن يجلس أهل الخير من غير حركة قانطين من الفرج!

+ فِي الْخَيْرَاتِ: وليس إلى الخيرات.

يقال: (أسرع إلى المسجد) إذا كان خارجه ومسرع للدخول إليه.

أما (أسرع في المسجد) أي هو مسرع في داخله.

فالأنبياء والصالحون والخيّرون والمؤمنون وهم بداخل الخير يسارعون فيه؛ ليأتوا بخير ثان وثالث ليحصدوا ما استطاعوا منها في الحياة الدنيا.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَنْ يَشْبَعَ [ص:51] الْمُؤْمِنُ مِنْ خَيْرٍ يَسْمَعُهُ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةُ**» [الترمذي وابن حبان].

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَقْبَلَ رَاكِبٌ حَتَّى أَنَاخَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَتَيْتُكَ مِنْ مَسِيرَةِ تِسْعٍ، أَنْصَبْتُ بَدَنِي، وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي؛ لِأَسْأَلَكَ عَنْ خَلَّتَيْنِ أَسْهَرَتَانِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: أَنَا زَيْدُ الْخَيْلِ، قَالَ: «بَلْ أَنْتَ زَيْدُ الْخَيْرِ»، قَالَ: أَسْأَلُكَ عَنْ عَلَامَةِ اللهِ فِيمَنْ يُرِيدُ، وَعَنْ عَلَامَتِهِ فِيمَنْ لَا يُرِيدُ، إِنِّي أُحِبُّ الْخَيْرَ وَأَهْلَهُ وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِ، وَإِنْ عَمِلْتُ بِهِ أَيْقَنْتُ ثَوَابَهُ، فَإِنْ فَاتَنِي مِنْهُ شَيْءٌ حَنَنْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَامَةُ اللهِ فِيمَنْ يُرِيدُ، وَعَلَامَتُهُ فِيمَنْ لَا يُرِيدُ، لَوْ أَرَادَكَ فِي الْأُخْرَى هَيَّأَكَ لَهَا، ثُمَّ لَمْ يُبَالِ فِي أَيِّ وَادٍ سَلَكْتَ**» [الطبراني].

فمن رأى من نفسه أنه يحب الخير وأهله ويتمنى أن يكون معهم فَلْيَعْلَمْ أن الله يريده وسجل اسمه في ديوان المقبولين.

جاءني صيدلاني ليخبرني أنه يبيع ظرفاً واحداً من الدواء لِعِلْمِهِ أن المريض لا يحتاج الظرف الثاني، ومن جهة أخرى ليوفر الدواء لمريض يحتاجه خاصة عندما يكون الدواء مفقوداً، فهذا الإنسان لم يخبره أحد بأن يفعل ذلك لكنه لما فكر بمصالح الناس قام بذلك

أخبرني طبيب أن الشيء الوحيد الذي يبقيه في البلد هو أن كل زملاءه سافروا وبقي لمساعدة الناس والعمل على مصالحهم، فهذا العمل لم يحتج إلى معلم لِيُعَلِّمَهُ لكنه يحب الخير وأهله.

قد يكون الخير بموقف أو معاملة أو ابتسامة أو مبلغ مالي... فالمهم أن يجدنا الله كلنا نتحرك لفعل الخير.

الْخَيْرَاتِ: وليس الخير.

لا يخفى على أحدنا أن هذا الجمع المصرح به دلالة واضحة على أنهم يتفننون في صنع الخير، فلئن كان أهل الباطل والشر والسوء يتفننون في الشر فإن المؤمن الذي يتبع أنبياء الله وسيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم لا يملك إلا أن يساعد في الخيرات بأشكالها وأنواعها تقرباً إلى الله تعالى واستمطاراً لرحمات الله واستفتاحاً لأبواب الفرج.

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [السجدة: 18-20].

﴿نُزُلًا﴾ أي ضيافة من الله.

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بعملهم الذي عملوه في الدنيا.

اعلموا وتيقنوا أن الخير لا يبلى والذنب لا ينسى والديَّان لا يموت اعمل ما شئت فكما تُدين تُدَان.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.